الضواحي السكنية، حل تخطيطي لمواجهة النمو السكاني، أم مشكلة حضرية جديدة*

م. علا عبد الرزاق غدا** د.م. رولا أحمد ميّا***

الملخص

تشكل المدن البيئة الحضرية الرئيسة التي يعيش فيها الإنسان ويمارس نشاطاته المختلفة، ولكن الضغط السكاني الحاصل وزيادة الكثافة السكانية في المدن أدى إلى توسع المدن إما بشكل عفوي أو عبر خطط موضوعة من الحكومات تهدف إلى جعل مناطق التوسع مراكز نمو جديدة تسهم إيجاباً في دعم المدن التي تعاني من التزاحم وتدهور المرافق وضيق المساحات المتوافرة للتوسعات العمرانية، فعملية وضع معايير تصنيف واضحة تراعي خصوصية مراكز النمو هذه ستسهم في وضع الآليات الصحيحة لتحقيق الأهداف المرجوة من إنشائها كمّاً ونوعاً وعلى الأصعدة والقطاعات كلّها، ولا سيما الضواحي السكنية نظراً إلى دورها الكبير والتصاقها بالمدن وأهميتها التخطيطية والاجتماعية ودورها الحضري والتأثير المتبادل الحتمي بينها وبين المدينة.

الكلمات المفتاحية: أنماط النمو الحضري، مراكز النمو، المدن الجديدة، الضواحي.

* أعد البحث في سياق رسالة الماجستير للمهندسة علا عبد الرزاق غدا بإشراف الدكتورة رولا أحمد ميّا.

** قسم التخطيط والبيئة، كلية الهندسة المعمارية-جامعة دمشق

*** قسم التخطيط والبيئة، كلية الهندسة المعمارية-جامعة دمشق

1-المقدمة:

باتت الصبغة الحضرية تغلب على عالمنا في الوقت الحاضر، وأصبح التحضر نتيجة ضرورية وحتمية للتحول السكاني الذي شهده العالم منذ المدة بين 1960-1975 وما رافقه من زيادة سكانية عبر السنين؛ ويعيش اليوم أكثر من نصف سكان العالم في المدن، أي ما يعادل 3.3 مليار نسمة. كما بات هناك أكثر من 70 بالمئة من السكان في كل من أوروبا وأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية يعيشون في المدن، في حين مازالت الصبغة الريفية هى السائدة فى كل من آسية وأفريقية.

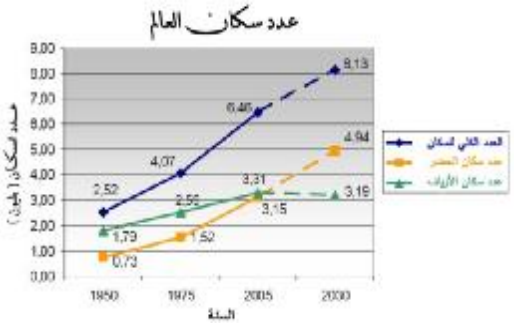

الشكل(1) الزيادات السكانية في العالم حتى عام 2030 بحسب المناطق (الحضر– الريف)[1].

وبشكل عام شهدت المدن العالمية كلّها نمواً بنسبة 1.83 بالمئة خلال الأعوام بين 1999 إلى 2000 سواء كانت المدن صغيرة الحجم، أم متوسطة أم كبيرة، ففي كل يوم ينضم نحو 193.107 فرداً جديداً إلى سكان المناطق الحضرية في أنحاء العالم كلّه، أي بنسبة تزيد على فردين تقريباً في كل ثانية [2]؛ ومن الملاحظ أن التحضر في البلدان النامية يزداد بشكل طردي وسيستمر بالزيادة خلال العقود القادمة، والنمو الأعلى سيحدث في مدن آسية وإفريقية التي يشكل فيها الريف ثلاثة أرباع مساحتها، وبحلول 2025 سيصبح نصفها حضرياً[3].

هذه الزيادة السكانية أدت إلى ارتفاع الكثافة في مراكز المدن وارتفاع أسعار الأراضي وتدهور نوعية الحياة في المدن وظهور مشكلات مثل (التلوث، والضجيج، والازدحام، وغيرها) مما سبَّب خروج السكان من المدينة إلى المناطق المحيطة بها، وقد ساعد على ذلك وسائل النقل الحديثة.

2-مشكلة البحث:

إن ارتباط النمو الحضري بزيادة السكان بوجه عام دفع للعمل على إيجاد ركائز جديدة للعمران خارج المناطق المأهولة وكسر الأنماط التقليدية للنمو العمراني والامتدادات العشوائية؛ لذلك فإن الاهتمام بإعادة تنظيم التجمعات السكانية هو من أهم التحديات التي تواجه عملية التطوير الاقتصادي والاجتماعي، كما أنّ العمل على حل المشكلات التخطيطية والتنظيمية يعدُّ من أهم القضايا المطروحة في السياسة العمرانية الراهنة.

وعلى المستوى المحلي في سورية، لم يتم العمل بعد على وضع آلية ومعايير واضحة لتصنيف الضواحي السكنية لذلك فإن عملية وضع الخطط لحل مشكلات التجمعات السكانية لا تراعي خصوصية الضاحية.

وفي كثير من الحالات بدأت الضواحي تعاني بدورها من مشكلات تُصَدَّرُ إليها من المدينة، كما أن معظم الضواحي المنشأة حالياً –مثل ضواحي ريف دمشق- تلبي حاجة السكان من حيث الكم ولكنها لا تلبيها من حيث النوع إذْ لم يتم التقيد في العديد من الضواحي بمستوى الخدمات الواجب توافرها بحسب معايير التخطيط العمراني الموضوعة وبما يتلاءم مع تطلعات القاطنين.

ومن ثَمَّ من الضروري العمل على إقامة المشاريع العمرانية المتكاملة التي تلبي احتياجات السكان المحليين والأخذ بمبدأ الضواحي الجديدة المكتفية ذاتيا" وتنشيطها والعمل على جعل عدد من المراكز الحضرية مراكز إقليمية مهمة ذات قاعدة اقتصادية وخدمية متطورة.

إنَّ إنشاء مثل هذه الضواحي سيسهم في حل مشكلات المدن القائمة التي تعاني من التزاحم وتدهور المرافق وضيق المساحات المتوافرة للتوسعات العمرانية عن طريق إيجاد بيئة حضرية أكثر تنظيماً وجاذبيةً عمرانية تمتص جزءاً من الزيادة السكانية في المدن الكبرى وتسهم في حماية الأرض والبيئة.

3- تساؤلات البحث:

استناداً إلى ما تقدم، يمكن طرح مجموعة من التساؤلات:

-ما مدى صحة تفسير النظريات المكانية لتوزع الاستعمالات وظهور الضواحي للمدن في الوقت الراهن؟

- ما الغاية من إنشاء التجمعات العمرانية حول المدن، وما الفرق بين أنماط النمو الحضري؟

-كيف يمكن للضواحي أن تلبي الحاجة التخطيطية التي أنشئت من أجلها من جهة، وتلبي حاجة قاطنيها من جهة أخرى؟

4- هدف البحث:

- توضيح الفرق بين مختلف أنماط النمو الحضري والتجمعات العمرانية.

- وضع تعريف واضح للضاحية من خلال دراسة مفهوم الضواحي في عدة مناطق من العالم.

- استكشاف الآلية الحضرية وفهما لتشكل الضواحي.

-وضع آلية واضحة لتصنيف الضواحي؛ مما يساعد على فهم خصائص الضاحية بما يسهم في وضع الخطط التنموية المناسبة.

- توضيح العوامل المسهمة في ظهور الضواحي ونموها.

-توضيح التأثير المتبادل بين المدينة والضاحية للإسهام بدعم التأثير الإيجابي وتقليص التأثير السلبي.

5- فرضيات البحث:

-الضواحي ليست نمط النمو الوحيد للمدن، ولكنها أكثر أنماط النمو الحضري ارتباطاً وتأثراً بالمدينة.

-إنشاء الضواحي السكنية سيسهم في حل مشكلات المدن القائمة التي تعاني من تدهور المرافق وضيق المساحات المتوافرة للتوسعات العمرانية، ولكن ذلك مرهون بعدد من الظروف والتحديات.

-تشكل الضواحي داعماً أساسياً للمدينة في حال وُضِعَتْ آليات واضحة تسهم في تصنيف الضواحي لِتُوضَعَ خطط تنموية تلائم طابع كل ضاحية ومميزاتها.

6-أنماط النمو الحضري وتوسع المدن بين النظريات والواقع:

إن المدينة سواء كانت مخططة أم عشوائية هي شكل أولي مرجح لأن ينمو عضوياً مع الزيادات السكانية، وغالباً ما يكون نمو المدينة مكملاً لبعض الوظائف غير المكتملة والحاجات المكانية لبعض المدن[4].

6-1-النظريات المكانية لاستعمالات الأراضي في المدينة:

ظهرت بعض النظريات المكانية التي حاولت تفسير أنماط التوزع المكاني في المدينة والعوامل البيئية والاجتماعية والثقافية المؤثرة فيها، وتشكل هذه النظريات واحداً من أهم الإسهامات التي قدمها علماء الإيكولوجية الحضرية، وسنستعرض فيما يأتي النظريات التي درست الضواحي:

أ-نظرية الحلقات المركزية The Concentric-Zone Theory:

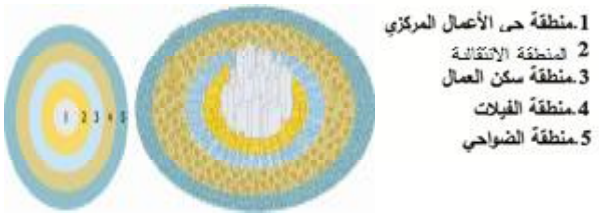

الشكل(2) التوزع المكاني بحسب نظرية المنطقة المركزية.
المصدر:إعداد الباحثة بالاعتماد على: بحث بعنوان urban patterns.[6]

يستند ارنست بيرجس صاحب هذه النظرية إلى أن المدينة تتخذ في نموها شكل خمس حلقات متحدة المراكز ومتناسقة إلى حد ما، وكما يبيّن الشكل (2) تكون الحلقة الأولى أقرب الحلقات إلى الداخل وهي حي الأعمال المركزي(CBD) ويحوي أكثر نشاطات المجتمع كثافةً. أمَّا الحلقة الثانية التي تقع خارج نطاق الحلقة الأولى فهي المنطقة الانتقالية وتتميز بتعدد طبيعة استخدام الأراضي فيها وتغيّرها فضلاً عن أنها تتميّز بكثافة سكانية عالية وانخفاض ملحوظ في الدخل الفردي وظهور التفكك الاجتماعي، في حين تضم الحلقة الثالثة منطقة سكن العمال أمَّا الحلقة الرابعة فتضم الفيلات وأحياء الأعمال المحلية، وأخيراً تقع الحلقة

الخامسة خارج حدود المدينة حيث تشكل ضواحي منفصلة، وتمثل هذه الضواحي مناطق سكنية لذوي الدخل المرتفع[5].

إنَّ هذه النظرية محدودة وُضِعَت لتفسير تطور نموذج المدن الأمريكية، كما أنها لا تأخذ بالحسبان الهوية التاريخية والثقافية للمدينة. والملاحظ أنها تلائم الوقت الذي ظهرت فيه عام (1950) ولا تلائم ظروف توسع المدن في وقتنا الحالي، كما أنها لا تفسر الآثار المترتبة عن استخدام طرق النقل في توزيع استعمالات الأراضي.

ب-نظرية النويات المتعددة Multiple Nuclei Theory:

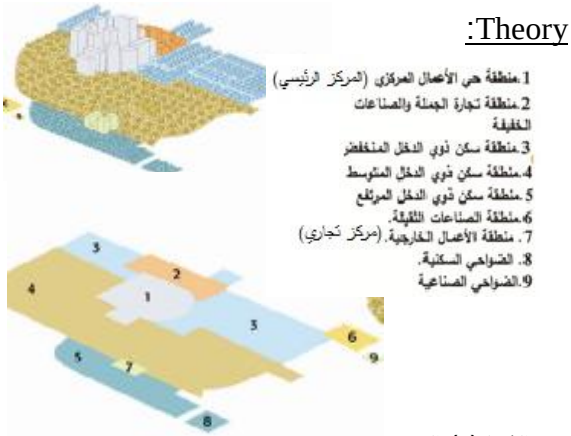

الشكل(3) التوزع المكاني بحسب نظريه المنطقه المركزيه.

المصدر:إعداد الباحثة بالاعتماد على المرجع السابق [6].

في منتصف الأربعينيات صاغ هاريس وأولمان نموذج النويات المتعددة الذي عَدَّ أن نمو المدينة لا يعتمد على نواة واحدة وإنما على نويّات متعددة؛ فكما يبيّن الشكل(3) هناك النواة الرئيسة في مركز المدينة، وهي منطقة النشاطات التجارية والخدمات الرئيسة ونواة تجارة الجملة والصناعات الخفيفة بالقرب من النواة الرئيسة، كذلك توجد نواة الصناعات الثقيلة على أطراف المدينة وحول هذه النويّات تتوزع مناطق سكنية متنوعة بعضها لذوي الدخل المحدود وبعضها الآخر لذوي الدخل المتوسط. وبعضها لذوي الدخل المرتفع. أمَّا مناطق الضواحي فتمثل نطاقاً انتقالياً بين البيئة الحضرية والبيئة الريفية[5].

حاولت هذه النظرية تفسير تطور المدن، ولكنها فصلت المناطق عن بعضها بحسب الوظائف ولم تأخذ بالحسبان إمكانية تداخل الوظائف ضمن كتلة واحدة. كما أنها لا تفسر تأثير وسائل وطرق النقل في توزيع النويّات – بحسب النظرية-.

بالمقارنة بين النظريات المكانية والواقع الحالي لنمو المدن وتوزع وظائفها يتبيَّن بأنَّ التوزع المكاني للضواحي السكنية المطروح في النظريات قليلاً ما ينطبق على الواقع الحالي، وإذا ما صُنِفَتْ أنماط نمو المدينة يمكن القول: إنَّ للمدينة خيارين إما النمو نحو الأطراف أو النمو نحو الداخل.

النمو نحو الأطراف يمكن أن يأخذ شكل الضواحي أو المدن الجديدة (سواء كانت مستقلة أو توأمية أو تابعة). والنمو نحو الداخل يمكن أن يظهر عبر إنشاء أحياء جديدة (توسع أفقي) أو زيادة ارتفاعات الطوابق للأبنية داخل المدينة نفسها(توسع شاقولي)؛ وسيجري التركيز في البحث على دراسة النمط الأول: النمو نحو الخارج أو الأطراف.

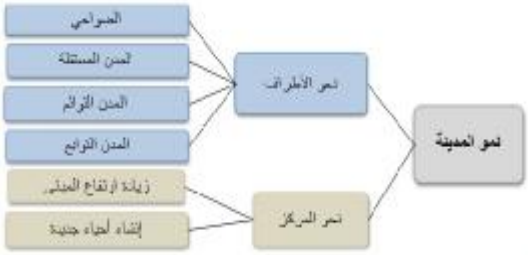

الشكل(4) أنماط النمو المحتملة للمدينة.

المصدر:إعداد الباحثة بالاعتماد على عدة دراسات.

6-2-مقارنة بين أنماط نمو المدينة نحو الخارج /الضواحي والمدن الجديدة/:

إنَّ أنماط نمو المدينة نحو الخارج يأخذ أربعة أشكال(الضواحي- المدن المستقلة – المدن التابعة – المدن التوأمية) ولكن ما الفرق بين هذه الأنماط؟

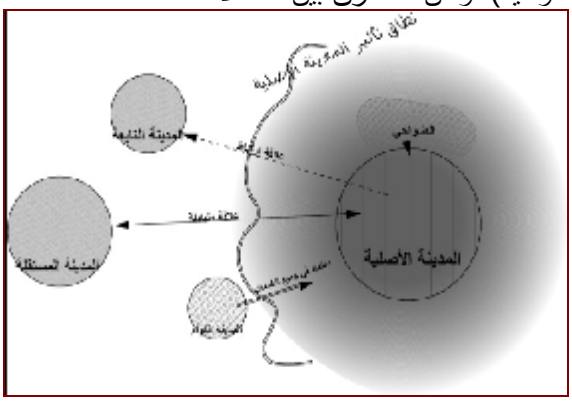

الشكل(5) علاقة المدينة بكل من الضواحي والمدن الجديدة.

المصدر:إعداد الباحثة بالاعتماد على "ندوة الإسكان الثالثة آذار 2007 " الحي السكني ..أكثر من مجرد مساكن، المملكة العربية السعودية [7].

§ انطلاقاً من الإطار النظري سيجري العمل على مقارنة خصائص الضواحي والمدن الجديدة من حيث ارتباطها بالمدينة والفعاليات المتوافرة وسبب إنشاء كل منها؛ وذلك بهدف الوصول إلى الخصائص التي تميّز الضواحي عن باقي أشكال توسع المدن.(الجدول رقم1)

الجدول (1): الفرق بالخصائص والغاية من إنشاء كل من الضواحي والمدن الجديدة.

	نمو المدينة نحو الأطراف		
		المدن الجديدة	
	الضواحي	المدن المستقلة	المدن التابعة
العلاقة بالمدينة	امتداد حضري للمدينة، وتعدُّ جزءاً منها.	تقع متاخمة للمدينة.	تبعد عن المدن القائمة بمسافات تدعم استقلالها الذاتي	تشكل امتداداً للمدينة القائمة
الطابع	سكنية ويعمل سكانها في المدينة الأصل	سكنية ويعمل سكانها في المدينة الأصل	سكنية وذات قاعدة اقتصادية مستقلة وتحوي وظائف لسكانها.	سكنية وتحوي خدمات وفرصا ومقومات اقتصادية ترتبط بالمدينة الأم
الغاية من إنشائها	• الاتجاه خارج منطقة العمران المنحصرة لتخفيف الضغط • حل جزء من مشكلات المدن القائمة التي تعاني من الازدحام وتدهور المرافق وضيق المساحات المتوافرة للتوسعات العمرانية.		• إعادة رسم خريطة السكان وتوزيعهم الجغرافي. • الاتجاه خارج منطقة العمران المنحصرة للتخفيف من الضغط السكاني وحماية الأرض الزراعية المهددة بالزحف العمراني. • حل جزء من مشكلات المدن القائمة التي تعاني من الازدحام وتدهور المرافق وضيق المساحات المتوافرة للتوسعات العمرانية وتوطين الصناعات خارج المدينة الأم لاستثمار الموارد المتاحة .	

المصدر:إعداد الباحثة بالاعتماد على بحث بعنوان "إستراتيجيات وآليات تنمية المدن الجديدة بمصر" قسم العمارة – كلية الهندسة - جامعة أسيوط – مصر[8].

بملاحظة الغاية من إنشاء كل نمط من أنماط توسع المدن تبيَّن أنَّ الغاية الأساسية من هذا التوسع هو حل مشكلات المدن القائمة مع التفاوت في نوعية المشكلات المراد حلها ففي إنشاء الضواحي والمدن التوأم تكمن الرغبة في حل مشكلة الكثافة السكانية المتزايدة، أمَّا في المدن المستقلة والتابعة ففضلاً عن الرغبة بحل مشكلة الكثافة السكانية المتزايدة هناك رغبة بتوفير دعم اقتصادي عن طريق توطين الصناعات خارج المدينة الأم لاستثمار الموارد المتاحة .

وبعد المقارنة بين الضواحي والمدن الجديدة من حيث الفعاليات المتوافرة في الجدول (2)

الجدول(2): مقارنة بين الفعاليات المتوفرة في كل من الضواحي والمدن الجديدة.

الفعاليات	أنماط نمو المدينة نحو الأطراف			
	الضواحي	المدن الجديدة		
		المدن المستقلة	المدن التابعة	المدن التوأم
سكنية	ü	ü	ü	ü
قاعدة اقتصادية	_	ü	ü	_
فرص عمل	_	ü	ü	_
الخدمات	فقط الخدمات الأساسية البسيطة	ü	ü	فقط الخدمات الأساسية البسيطة

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على بحث بعنوان "إستراتيجيات وآليات تنمية المدن الجديدة بمصر" قسم العمارة – كلية الهندسة - جامعة أسيوط – مصر[8].

تبيّن أنَّ:

المدن المستقلة والتابعة تحوي الخدمات والنشاطات كلّها الاقتصادية والاجتماعية الموجودة في المدينة الأم، ولكن علاقة المدينة التابعة بالمدينة الأصلية تكون أقوى من علاقة المدينة المستقلة بالمدينة الأم، كما نلاحظ التشابه الكبير بين الضواحي والمدن التوأم بالخصائص والفعاليات المتوافرة إذْ تتسم كلتاهما بكونهما سكنيتين وتتمتعان ببعض الخدمات الأساسية.

أمَّا بالنسبة إلى العلاقة المكانية فإنَّ الضاحية تكون أقرب إلى المدينة الأم وعندما تبتعد الضاحية عن حدود المدينة يطلق عليها اسم المدينة التوأم.

7-العوامل التي ساعدت على انتشار الضواحي:

في القرن التاسع عشر ومع ظهور الثورة الصناعية، وارتباط التنمية الاقتصادية والصناعية بالمدينة بوصفها تشكل سوقاً لتصريف المنتجات وتؤمن البيئة التجارية والمالية ذلك كلّه أدى إلى ارتفاع الكثافة في مركز المدينة وارتفاع أسعار الأراضي فيها فضلاً عن تدهور نوعية

الحياة في المدن؛ مما دفع السكان إلى الخروج من المدينة نحو الضواحي والريف بحثاً عن المكان والهواء النظيف[9] رغبة منهم في تجنب ضوضاء المدينة وازدحامها وجوّها الملوث غير الصحي.

ازداد هذا الاتجاه في القرن العشرين مع التطور الكبير الذي شهدته الصناعة، وبحث الناس عن مكان أكثر هدوءاً واستقراراً، فالتطور داخل المدينة مرتبط بشروط كثيرة، فعندما يُراد بناء عناصر جديدة داخل المدينة أو إحداث تغيير معين فيها ستُوَاجَهُ قيود ومصاعب في البنية التحتية لجهة ما هو متعلق بخدمات(الماء، والصرف صحي،.....) فضلاً عن سوء التخطيط السابق للصناعات والمهن وانتشارها بشكل غير منظم.

من هنا كانت فكرة إنشاء الضواحي من أجل تلبية تطلعات السكان، ولكنها في -كثير من الأحيان- نمت بشكل صغير ومتواضع، فكانت عبارة عن عدد محدود من المنازل الخاصة التي بنيت بعيداً عن الكتل السكنية للمدينة دون أن تبتعد عن المدينة كثيراً، وذلك تجنباً لطول الرحلة خاصةً قبل انتشار استخدام السيارة، ومع تطور وسائل النقل والمواصلات، وخاصة ظهور السيارات ووسائل النقل الحديثة أخذت هذه الضواحي في النمو والتطور، وأصبحت جزءاً من الكتلة السكنية للمدن بعد أن كانت بعيدة عنها، ولكنها -في بعض الأحيان- فقدت جزءاً من ميزاتها، بسبب ازدحامها وكثرة سكانها وقلة الاهتمام بها فبعد أن كانت ملجأ يسكن به الناس هرباً من المدن أصبحت مشابهة في مشكلاتها لمشكلات المدينة[10].

يعود أول ظهور تاريخي للضواحي مع وصول القطارات ووسائط الترانزيت التي سمحت للناس بالهرب يومياً من المدينة المزدحمة وأول مرة السكن في طبيعة شبه ريفية مع العمل في المدينة؛ بالطبع هذا الحل لم يكن مستداماً على الإطلاق، فالطبيعة الريفية لم تبق على هذه الحال وقتاً طويلاً، مع ظهور موجة إقبال المسافرين اليوميين للانتقال بعيداً عن مركز المدينة بحثاً عن طبيعة هادئة.

إِذْ بدأ محيط المدن الكبيرة بالتوسع تدريجياً أكثر وأكثر بعيداً عن حدود المدينة الأصلية في أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وفي الولايات المتحدة في بداية العشرينيات وخاصة بعد امتداد خطوط القطارات، وهذا أسهم في إنتاج مناطق حضرية جديدة مع صفوف غير منتهية من المنازل وامتدادات حضرية غير مكتملة على طول خطوط نقل القطارات[11].

وقد جاء ثاني ظهور تاريخي للضواحي عندما شكلت وسائل المواصلات محرك التخطيط الحضري والاعتماد على مبادئ النقل في العمل والنشاطات الفردية للأشخاص، ولكن لم يكن السبب الاختراع الهائل للآليات بحد ذاتها وإنما القبول باستخدام هذه الآليات للنقل وتلبيتها لحاجة الأفراد. مما أسهم بتحقيق بُعد بين مناطق المصانع على امتداد الأقاليم والقطاعات وأصبحت الآليات وحركتها أداةً لا يمكن الاستغناء عنها مما جعل من الضروري إيجاد نظام نقل بين مختلف المناطق لتأمين حاجات الناس[11].

على مدى هاتين المرحلتين كان هناك تصاعد أو خمول في عمليات توسع المدن بحسب مدى نمو القوانين السياسية التي تشجع أنماط التنمية الجديدة، على سبيل المثال حركة المدن الحدائقية والرغبة بتحسين تنظيم المدن المتفرقة الجديدة والاهتمام بالتجمعات العمرانية الجديدة بالفصل بين مختلف الوظائف والتدرج بالضواحي الأقل كثافة؛ ولكن متى يُطلق على هذه التجمعات العمرانية اسم الضاحية؟

8-مفهوم الضاحية وخصائصها:

بعد تَعَرُّفِ بدايات ظهور الضواحي حول العالم وما يميزها عن باقي التجمعات العمرانية المحيطة بالمدينة لا

بدَّ من استعراض التعاريف التي وضعت لتوضيح ماهية الضاحية ومناقشتها.

8-1-تعريف الضواحي:

وضعت العديد من النصوص التي شرحت ماهية الضاحية، وكان هذا التعريف يختلف من بلد إلى آخر بحسب تجربة هذا البلد أو ذاك بإنشاء الضواحي .

في عام 1933 وصف المؤتمر الدولي الرابع للعمارة المعاصرة في أثينا الضواحي بأنها "حُجرة الانتظار البائسة للمدينة"؛ وفي ثقافات أخرى كان لمصطلح الضواحي تعريف مختلف ففي مدن القرون الوسطى كانت الضاحية هي "المنطقة البرية المأهولة بالسكان وغير المنظمة التي تقع على أطراف المدينة وسكانها من الفقراء" ولا يزال هذا هو الحال في قارة أوروبا[12].

وورد في قاموس الأعمال بأن الضاحية هي "منطقة أو مدينة على حافة المدينة الحضرية، ويمكن أن تكون الضاحية داخل للحدود الخارجية للمدينة أو ملاصقة لها، وغالباً ما تكون سكنية وتعتمد على المدينة المجاورة بفرص العمل وبعض الخدمات."[15]

وكلمة"suburb"مشتقة من الفرنسية القديمة "sub(b)urbe" المُشكّلة من"sub" وتعني أسفل أو ثانوي و"urbs" وتعني المدينة وقد استخدمت لتدل على أي نوع من التجمعات السكانية التي تقع على محيط المدن الكبيرة[16].

وبشكل عام عُرِّفت الضواحي أو شُرِحت بأنها "أطراف البلدة "the outskirts of a town" فهي منطقة على أطراف البلدات الكبرى أو المدن حيث يعيش فيها الأشخاص الذين يعملون في المدينة."

أمَّا في أمريكا، فقد عُرِفَتِ الضاحية بأنَّها "المكان الذي يُمكن لأصحاب الدخل الجيد الهرب إليه من المدينة، ففي المدن حيث تتركز الصناعة يقطن الفقراء وكلما تحسن وضعهم ينتقلون إلى خارجها ويقطنون في الضواحي[13]."

وفي لندن وضمن السياسات الموضوعة لتطوير الضواحي وُضِعَ تعريف أكثر واقعية "الضاحية هي منطقة حضرية متجانسة ومتسعة بما فيه الكفاية لتشكل بيئة كثافة سكانية منخفضة متميّزة تقع على هامش المنطقة الحضرية التي تعتمد عليها في فرص العمل والتجارة والإدارة وتتمتع بمظهر البيوت العائلية المنفصلة المنفتحة على منطقة خضراء محيطة بها وكأنها شبه متنزه مفتوح وتحوي بعض الفعاليات الصناعية والتجارية (البسيطة جداً التي تُخدم المنطقة السكنية)"[15].

من التعاريف المختلفة للضواحي يتبيَّن أنَّ الضواحي عالمياً ليست موحدة من حيث المظهر والأسلوب ولكن المشترك بين الضواحي جميعها موقعها واحتواؤها على شكل من أشكال التنمية، حيث تستحضر الضواحي صورة المساكن المنفصلة ذات الحدائق الأمامية والخلفية مع طرق مشجرة من الجانبين ضمن بيئة مصممة لاحتياجات العائلة الصغيرة.

وللفهم الأمثل للضواحي لا بدَّ من شرح آلية تشكل الضواحي وارتباطها مورفولوجياً مع المدينة المركز.

8-2-آلية تشكل الضواحي:

تختلف آلية تشكل الضواحي من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى ويسهم في تشكلها عدد كبير من العوامل، وكما يبيّن الشكل (6)، في بعض المدن تبدأ الضواحي بالظهور في المناطق الخارجة عن حدودها وعلى محاور الطرق الرئيسة وتكون على شكل أقطاب متباعدة تبدأ صغيرة الحجم وتتوسع تدريجياً ويراعى عند إنشائها الابتعاد عن المناطق الزراعية والمحافظة عليها لما تشكله من داعم اقتصادي وبيئي وبهدف المحافظة على التأثير الإيجابي للمساحات الخضراء كما في بريطانيا، وفي بعض المدن تُشكِل الضواحي امتداداً مستمراً للمدينة على حساب المزارع والمناطق الخضراء الملاصقة لحدود المدينة كما في أمريكا.

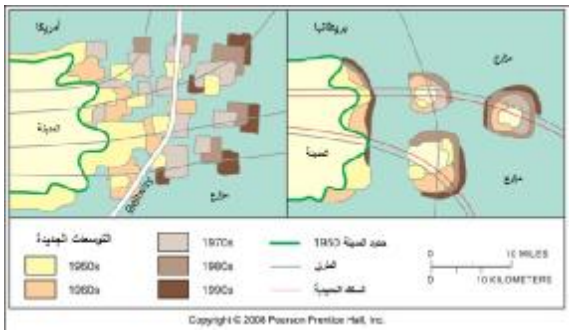

الشكل(6) أسلوب توسع المدن وظهور الضواحي في كل من بريطانيا وأمريكا. المصدر:إعداد الباحثة بالاعتماد على: urban patterns[6].

وتسمى عملية بناء الضواحي بـــ Suburbanization عملية التحضر المعاكس: وهي عملية النمو الخارجي للمنطقة الحضرية بهدف إعادة توزيع السكان الأغنياء في ضواحي المدن بدلاً من مركزها، ومحاولة لإحياء فكرة المدن الحدائقية بأسلوب جديد ولكنها في -كثير من الأحيان- أدت إلى ابتلاع القرى المحيطة والمناطق الريفية الواقعة خارج المدينة.

ويجري تطور التجمعات الحضرية وظهور الضواحي عبر سلسلة من العمليات المعروفة بدورة التحضر وفق عدد من المراحل الأساسية كما هو مبيّن بالشكل (7):

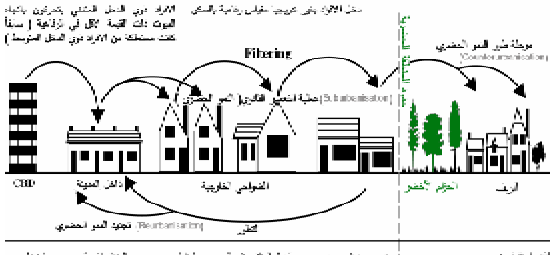

الشكل(7) دورة حياة النمو الحضري[14].

وبدراسة نتائج المظهر العام للشكل(7) يتبينّ أنّ هناك عدداً من المستويات:

- عملية التحضر المعاكس(sub - urbanization).
- طور النمو الحضري (counter-urbanization).
- إعادة عملية التحضر(re -urbanization).

هذه الضواحي المتشكلة بنيت كمدن صغيرة، وفي أغلب الأحيان احترمت المقياس والاتصال والتدرج الهرمي والمؤسسات المناسبة مع مراكز المدن وكانت غالباً متكاملة مع المدينة التي بنيت على أطرافها، كما أنَّها احترمت مقياس الإنسان مع الاهتمام بتوفير أماكن خاصة للمشاة في محاولة لجعلها شكلاً حضرياً مستداماً[4]. وقد ارتبطت الضواحي بفكرة التحرر وحرية الاختيار والاستقلالية والاتصال مع الطبيعة والصحة وأولوية حياة العائلة على المجتمع.

يظهر الشكل رقم (8) تدرج استعمالات الأراضي انطلاقاً من المدينة وصولاً إلى الضواحي حيث يتوزع على الطريق الرئيسي الفاصل بين المدينة والضاحية مبانٍ مكتبية، ومدارس ومراكز تجارية لتخديم المدينة بشكلٍ أساسي، ومن ثم يليها نحو الداخل العناصر والمباني المشكلة للضاحية من شقق ومحلات تجارية صغيرة مع الاهتمام بالشوارع والطرق المشجرة.

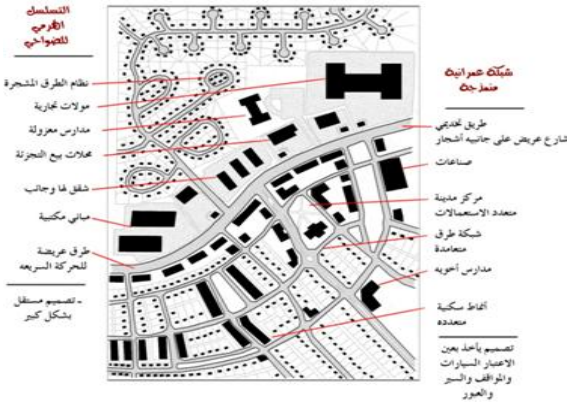

الشكل(8) تدرج استعمالات الأراضي من المدينة وصولاً إلى الضواحي [4].

8-3-تصنيف الضواحي:

يوجد العديد من الدراسات التي حاولت تصنيف الضواحي، وتختلف هذه الدراسات بحسب المعايير التي تُوضَعُ وتُتَبَّعُ فيمكن الاعتماد على شكل المباني، أو مكانها من حيث قربها وبعدها عن مركز المدينة، أو العمر والمرحلة التي أنشئت فيها، أو الطبقة الاجتماعية للقاطنين أو وسائل النقل من وإلى الضاحية.

ففي مدينة لندن كان هناك كثير من الكتابات عن الضواحي سعت لتطوير مقاييس تصنيف الضواحي ففي البداية صُنِّفَتْ في إلى ستة أنواع هي[15]:

الضاحية الداخلية التاريخية - والضاحية المخططة - وضاحية السكن الاجتماعي - وضواحي البلدات - وضاحية وسائل النقل العامة - وضاحية تعتمد على السيارات الخاصة.

وقد وجد أنَّ هذا التصنيف مفيد لوصف تنوع الضواحي ولكنه محدود من الناحية السياسية. فهناك بداية عدم تطابق في الحجم بين مختلف الفئات. على سبيل المثال الضاحية المخططة رغم صغرها نسبياً تتمتع بنفوذ كبير مقارنة بضواحي النقل العامة الأكبر حجماً، إذْ عُدَّتْ هذه الضواحي -في بعض الأحيان- مدناً جديدة متوسعة خارج لندن الكبرى .

ومن ثم قُسِّمَتْ ضواحي لندن بالاعتماد على معايير متنوعة (شكل المباني– والمكان- والعمر- والطبقة الاجتماعية- وسائل النقل من وإلى الضاحية) إلى [15]:

- المدينة الحدائقية.
- ضواحي سكك الحديد الفكتورية.
- ضواحي الياقة الزرقاء.
- ضواحي المسافرين.
- ولايات القطاع العام.
- الاعتماد على السيارات.

أمَّا في أمريكا، فاعتمد تصنيف الضواحي على الحقبة الزمنية التي أنشئت فيها الضاحية، وقُسِّمَتِ الضواحي إلى ستة أنواع هي[17]:

- الضواحي الأولى (1850 وما قبلها): وهي امتداد للمدينة على شكل صفوف كثيفة من المنازل على الحافات الحضرية التي تؤدي بشكل مفاجئ إلى الحقول والمزارع المفتوحة وتضم أصحاب الدخل المتوسط.

-ضواحي البلدات والقرى (1850-1890): هي ضواحٍ مستقلة بذاتها ومفصولة عن مركز المدينة وهي ذات طابع ريفي وتسمى الجوار الحضري.

- ضواحي السيارات (1890-1930): مع وجود السيارات أصبح من السهل التنقل بالسيارات مما أسهم في انتشار الضواحي السكنية وامتدادها؛ وتتميّز بشوارعها الممتدة التي تتوزع على جانبيها المحلات التجارية.

- ضواحي منتصف القرن (1930-1970): تميّزت بطابع معماري مختلف عن المدن الحضرية التقليدية والضواحي التي سبقتها، فالمنازل ذات طابع ريفي مؤلف من طابق واحد مع حديقة خارجية تحيط بالمنزل؛ وتميَّزت بوجود مراكز تجارية ضخمة.

- ضواحي المدن الجديدة (1970-2010): وهي الضواحي التي يغلب عليها طابع التمدن من حيث سوق العمل والتعاملات التجارية بينها وبين المدينة، إذْ أصبحت هذه الضواحي مدناً من حيث التوظيف ولكن ليس من ناحية الشكل.

- ضواحي الأقاليم (2010 وما بعدها): وهي الضواحي الممتدة بعيداً عن المركز الحضري مع إمكانية توسعها في الاتجاهات جميعها حول المدينة الأصلية وتربطها مع المدينة شبكة ضخمة من المواصلات، وتتميّز مبانيها بالضخامة.

وفي كثير من الأحيان تُصَنَّفُ الضواحي تبعاً لوظائفها[10] إلى خمسة أنواع:

- الضاحية القريبة (الضاحية المزرعة):تمتاز بقربها من المدينة، ولا يوجد بها مخازن أو محلات كبرى لأنَّه من السهل التسوق من المدينة، ويعدُّ هذا النوع من الضواحي امتداداً للمدينة في زحفها، ومن أهم وظائفها تزويد المدينة بحاجتها من الخضار والفواكه، ومن العوامل التي ساعدت على وجود مثل هذا النوع من الضواحي وجود المزارع التي تنتهي إليها بقايا المدن الكبرى، بحيث يمكن الإفادة من مياه الصرف الصحي بعد تنقيتها في الري.

- الضاحية الوسطى(ضاحية النوم): تأتي هذه الضاحية بعد الضاحية القريبة، وهي عبارة عن منطقة لا تعدُّ جزءاً من المدينة، ولكنها تعتمد عليها اعتماداً مباشراً،

وتمتد على طول طرق المواصلات والخطوط الحديدية الرئيسة خارج المدن الكبرى في حدود 30 كم، ومن أهم مميزات هذه الضواحي هو السكن الهادئ، إذْ إنَّ معظم منازلها على شكل فيلات، أو مبانٍ من طابق واحد أو طابقين، ويقوم سكان هذه الضواحي برحلة العمل اليومية إلى المدينة المجاورة، بحيث تكون المدينة مكاناً للعمل والضاحية مكاناً للسكن المريح، وهذه الضواحي ليست مجرد منطقة سكنية وحسب، بل هي مكان للتنزه في نهاية الأسبوع بالنسبة إلى سكان المدينة وتزدهر فيها السياحة في الصيف خاصة.

- الضاحية البعيدة (الصناعية): نتيجة الثورة الصناعية والبدء بإنشاء المصانع خارج المدينة، أدى إلى نشأة ما يسمى بالضاحية الصناعية، فضلاً عن ذلك كان من الضروري أن تبعد هذه الصناعات عن المدن والتجمعات العمرانية ولأسباب تتعلق برخص الأراضي خارج المدن وإمكانية التوسع بها، ولتجنب زيادة المشكلات البيئية - الصحية في المدينة، وتسهيلاً لعملية انتقال المواد الخام والسلع إلى المصانع.

- الضواحي الصناعية السكنية: صاحَبَ نشوء الضواحي الصناعية ظهور مناطق سكنية لعمال المصانع، تعتمد في معظم خدماتها وتجارتها على المدينة المركزية.

-الضواحي المتنوعة: تتكون من خليط من الضواحي الصناعية والسكنية غالباً. يمكن القول: إنَّ من المفيد أن يكون في البلد الواحد تصنيفات متعددة للضواحي بحيث تتلاءم مع الخطط والاستراتيجيات الموضوعة لكل قطاع من القطاعات.

8-4- ميزات الضواحي وسلبياتها:

معظم الأدبيات التي ناقشت الضواحي كانت مثيرة للجدل، فهناك دراسات أشادت بنجاح الضواحي وعدّتها منقذاً للمدينة بوصفها المكان الذي يمكن الهرب إليه من ضغوط حياة المدينة لعيش حياة صحية وسعيدة[18] بحسب البحوث والكتابات التي تكلمت عن حركة المدن الحدائقية.

جاذبية الضواحي: تتصف الضواحي عالمياً بكونها مكاناً مرغوباً فيه للعيش لنسبة كبيرة من السكان، لذلك يجب الإفادة من الضواحي الناجحة لوضع سياسات لمعالجة الضغوط والمشكلات التي تحد من هذا النجاح في باقي الضواحي.

في الثلاثينيات من القرن الماضي اعترفت مدرسة "الباوهاوس" بالتأثير الكبير للمدن الحدائقية الانكليزية والبيوت الشبه منفصلة. ففي البداية لم تُنْشَأْ الضواحي بالاعتماد على دراسات أكاديمية تخطيطية بل كانت شعبية، وكانت تلقى رواجاً كبيراً من قبل السكان لما تتمتع به من خصائص يذكر منها[17]:

- السلام والهدوء والفضاء الرحب:

تتمتع الضواحي بجاذبية تقليدية قوية، فأغلب الناس لديهم تطلعات حضرية وتطلعات شبه حضرية[19]، جانبهم الحضري يرغب بتنوع في الحياة المناسبة والصاخبة، وجانبهم الشبه حضري يرغب بالسلام والسكينة والأمان والراحة والطبيعة، وقد وجدت الدراسات أن معظم الناس يرغبون بتحقيق الاثنين معاً ولكن رجحت الكفة نحو الحياة الشبه حضرية.

- الجو العائلي:

وذلك يرتبط بمراحل الحياة، إذْ يفضّل الشباب في عمر مبكر حياة المدينة، في حين تفضل العائلات حياة الضواحي لما تتمتع به من فضاءات واسعة وحدائق وخدمات وأمان، ولربما كانت العائلات التي لديها أطفال ومسؤوليات أقل قدرة على الإفادة من أسلوب حياة المدينة والتنوع الذي توفره؛ لذلك تبقى الضواحي مكاناً ملائماً لتربية الأطفال.

ü بيئة طموحة:

فضلاً عن استمرار قوة جذب الضواحي فإنَّ السكن في الضواحي يعبّر عن حالة الإنسان، إذْ تسعى أغلب العائلات إلى الابتعاد عن المدينة والسكن في الضواحي للتعبير عن مدى نجاحهم وبحثهم عن ظروف أفضل للسكن.

ü التعليم:

من أهم الخدمات الاجتماعية التي تسهم في نجاح الضواحي هي خدمة التعليم، فنوعية المدارس المحلية والنتائج التي تحققها شكّل عاملاً أساسياً من عوامل اختيار العائلات للانتقال إلى الضواحي.

ü الطابع المميّز:

لا تُبنى الضواحي في الغالب على أراض خالية، بل تنتشر على أرض طبيعية تكون خليطاً من قرى ومؤسسات ومنازل كبيرة ومزارع، وعند إدراج هذه العناصر كلّها التي تمثل البيئة المحلية ضمن الضواحي تعطيها طابعاً وهويةً مميزةً بعيداً عن رتابة التجمعات السكنية.

ü الخضرة (المناطق الخضراء):

تثبت الدراسات أن الأشجار على جانبي الشارع تضيف ما يصل إلى 18% من قيمة المنازل بالنسبة إلى المنازل الواقعة على شوارع لا تحوي أشجاراً على جنباتها، وغالباً ما تميل الضواحي لتكون غنية بأشجار الشوارع والمتنزهات والحدائق.

ü الحرية:

واحدة من عوامل الجذب للضواحي هو الشعور بالحرية حيث كان الانتقال إلى الضواحي بهدف الهروب من آراء الآخرين.

ü المجتمع (الجيرة، والتواصل الاجتماعي):

العديد من الأفراد يتهمون الضواحي بالعزلة وغياب الحياة الاجتماعية، ولكن الواقع أن مجتمع الضواحي يختلف عن غيره من المجتمعات؛ بالنسبة إلى العديد من الأفراد، فهو خيارٌ أكثرُ جاذبيةً لأنه يتيح لهم الخيار بالانخراط مع الآخرين مع القدرة على الرجوع إلى خصوصيتهم في منازلهم.

ü التفرد:

واحدة من خصائص الضواحي هو الميل لاستقطاب السكان من خلال التميّز بأسعار المنازل أو أنماط العمل والملكيات التي تميل إلى فصل الأغنياء عن الفقراء، فيمكن للضواحي أن تمثل المكان الذي يمكن أن تشعر فيه بالراحة مع الناس الذين يشاركونك النظرة إلى الحياة.

ü الخدمات العامة:

يعدُّ توافر الخدمات العامة عنصراً أساسياً لجذب السكان للعيش في الضواحي سواء كانت هذه الخدمات بنى تحتية أم تعليماً أو صحة أو توفر الأمن، ففي لندن –على سبيل المثال- تشكل الضواحي مكاناً يتميّز بجودة التعليم والصحة وتوفر الأمن، وهذا يعدُّ جزءاً كبيراً من جاذبيتها؛ كما أن توافر الخدمات العامة فيها يعدُّ مصدراً مهماً للعمالة حيث تحوي الضواحي ما تزيد نسبته على 20% من فرص العمل الموجودة في منطقة لندن.

ولكن مع ذلك هناك العديد من السلبيات التي ظهرت نتيجة لوجود الضواحي، والمستقبل سيجلب المزيد في ظل عدم فهم القوى الأساسية التي تؤدي إلى النمو الحضري حيث احتدمت النقاشات حول كون الضواحي نموذجاً حضرياً مستداماً سواء كانت تستطيع مواجهة التحديات البيئية ونقص الموارد وخاصة زيادة استهلاك الوقود أم لا؟ وفي الحالات كلّها هناك اختلاف في وجهات النظر عن الآثار السلبية الناتجة عن نموذج الضواحي المنتشرة اليوم[4].

ومهما كان نوع الضاحية وطبيعة الاستعمالات الموجودة ضمنها فلا بدَّ من أن تؤثر وتتأثر بالمدينة الأصلية فما طبيعة هذه العلاقة؟

8-5-التأثير المتبادل الإيجابي والسلبي بين الضاحية والمدينة:

نتيجة للعلاقة الوثيقة وارتباط الضاحية بالمدينة المقامة على أطرافها فلا بدَّ من أن تؤثر الضاحية في هذه المدينة وتتأثر بها، ولكن ما نوع هذا التأثير هل هو إيجابي أم سلبي؟

يمكن تلخيص التأثير الإيجابي للضواحي في المدينة بثلاث نقاط:

- الكثافة السكانية: تسهم الضواحي بتخفيف الضغط السكاني عن المدينة باعتبار الضواحي مكاناً مرغوباً فيه للعيش فيه لما تتمتع به من جو يتسم بالهدوء والراحة.
- المناطق الخضراء: فالتوجه للعمران خارج المدينة يسهم في المحافظة على المساحات الخضراء المتبقية ضمن المدينة.
- البنى التحتية: إنَّ انتقال عدد كبير من سكان المدن إلى الضواحي يسهم بتخفيف الضغط عن المرافق العامة والبنى التحتية الموجودة ضمن المدينة.

بالمقابل هناك تأثير سلبي يمكن أن ينتج عن وجود **الضواحي**:

- تشكل بعض الضواحي عبئاً على المدينة الأم من حيث فرص العمل وحاجات سكان الضواحي ومتطلباتهم فمن الممكن أن تستقطب الضواحي حول المدن الرئيسة كالعواصم أو المدن الضخمة سكاناً من أنحاء البلاد كلّها، وليس فقط من المدينة المجاورة للضاحية ومن ثَمَّ يصبح مطلوباً من المدينة تأمين فرص عمل لهؤلاء السكان جميعاً مما يفوق قدرتها.
- تشكل الضواحي ضغطاً من حيث ضرورة تأمين شبكات البنى التحتية وتوسيعها والاهتمام بجودتها لضمان استقطاب السكان، وهي الغاية التي أُنْشِئَتْ من أجلها الضواحي.
- جاذبية الضواحي والخوف من تفريغ المدن ونمو الضواحي بشكل متسارع أكثر من مركز المدينة، ومن ثَمَّ يمكن أن تختفي المدينة وتصبح الضواحي المحيطة بها مدناً مستقلة بذاتها.

9-تسارع التحضر في دمشق وريفها وظهور الضواحي:

- تسارعت نسب التحضر بشكل ملحوظ في سورية وارتفعت نسبة سكان الحضر من (43.5%) من إجمالي السكان في السبعينيات إلى (49.8%) في التسعينيات لتصل إلى (53.5%) في عام 2006 ومن ثم إلى (54%) في عام 2008[20].

وفي مدينة دمشق العاصمة وصلت نسبة التحضر إلى (100%) ومن ثَمَّ أي حاجة لمناطق حضرية جديدة ستكون على حساب ريف دمشق والمناطق المحيطة؛ وبالمقارنة بين سكان الحضر والريف ضمن محافظة ريف دمشق نلاحظ حتى منتصف عام 2004 كان يوجد تقارب في توزيع السكان ضمن الريف والحضر،

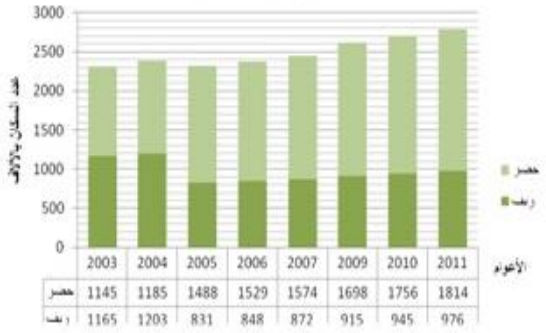

	2003	2004	2005	2006	2007	2009	2010	2011
حضر	1145	1185	1488	1529	1574	1698	1756	1814
ريف	1165	1203	831	848	872	915	945	976

الشكل(9) مقارنة للزيادة في عدد السكان في كل من الحضر والريف خلال الأعوام 2003-2011.

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على المجموعة الإحصائية الصادرة عن المكتب المركزي للإحصاء لعام 2011.

ولكن من منتصف عام 2005 أصبح عدد سكان الحضر يزيد على عدد سكان الريف بنسبة تقارب 64% في الحضر و36% في الريف، واستمرت هذه النسبة حتى وقتنا الحاضر؛ وفي منتصف عام 2011 بلغ عدد سكان الحضر في محافظة ريف دمشق (1814000) نسمة، في حين بلغ عدد سكان الريف (976000) نسمة، أي إنَّ النسبة المئوية كانت 65% لسكان الحضر مقابل 35% لسكان الريف.

الجدير بالذكر أنه منذ عام 1970 تم الانتباه إلى بداية التسارع الحضري وبدء تلاشي المناطق الخضراء (خاصة في دمشق) فَأُسِّسَ الاتحاد التعاوني السكني في محاولة لاستيعاب الزيادة السكانية وتأمين السكن لفئات الشعب كلهم واهتمَّ بإقامة الضواحي السكنية لذوي الدخل المحدود، وترك مفهوم التوسعات المحيطية أو الخطية التي كانت متبعة في السابق، التي أسهمت في تآكل الغوطة في الماضي، وفي زيادة الازدحام في المناطق المركزية من المدينة، إِذْ وضعت التشريعات اللازمة كالقانون/60/ الذي حدد مناطق التوسع العمراني، وتعديلاته اللاحقة. وأُنْشِئ منذ أواخر السبعينيات من القرن الماضي العديد من الضواحي السكنية[21].

في الوقت الحالي يحيط بمدينة دمشق ثماني ضواحٍ، موضحة في الشكل(10)، هي ضاحية 8 آذار (أشرفية صحنايا) – ضاحية يوسف العظمة (المعضمية)– ضاحية الأسد (حرستا)– ضاحية قدسيا– ضاحية الفردوس (الهامة)– ضاحية العاملين بالمطار- ضاحية عدرا العمالية– ضاحية دمر؛

الشكل(10) مواقع الضواحي المحيطة بدمشق.

المصدر: صورة غوغل.

وقد أُهْتُمَّ بوضع الدراسات والمخططات لهذه الضواحي باعتماد المعايير التخطيطية، ولكن الواقع الحضري لبعض الضواحي بحاجة لتنمية نتيجة عدم الالتزام الكامل بالمخططات الموضوعة من حيث تأمين الخدمات.

10- الواقع الحضري للضواحي في ريف دمشق:

تأتي أهمية الضواحي الواقعة في ريف دمشق من علاقتها المكانية بالعاصمة بوصفها جزءاً من إقليم دمشق الكبرى من جهة، وبوصفها الملاذ للسكان الراغبين في العيش في مكان هادئ قريب من العاصمة دمشق من جهة ثانية؛ ولأن الاستعمال السكني يستحوذ على النصيب الأكبر من استعمالات الأراضي كان لابد من الاهتمام بخدمات السكان ونوعية الحياة ضمن الضواحي؛ إِذْ لوحظ في معظم ضواحي ريف دمشق حاجتها لتطوير الخدمات التجارية وإعادة تنظيمها، واستثمارها لتكون أحد عوامل الجذب للضواحي؛ فقد روعي تأمين هذه الخدمات في تصميم بعض الضواحي (كضاحيتي دمر والأسد) لتكون مكتفية ذاتياً بتوفير الأسواق الضخمة والمتاجر والمدارس والمعاهد والنوادي الرياضية والمسارح والمتاحف والمطاعم؛ وقد نُفِّذَتِ التصاميم الموضوعة بشكل دقيق ضمن ضاحية دمر في حين لم تُنَفَّذْ بالمخططات والدراسات الخاصة بضاحية الأسد، مما سبب إشكالاً في تأمين الخدمات اللازمة في ضاحية الأسد إِذْ لا ترقى الخدمات الموجودة فيها حالياً إلى ما هو مخطط، مع العلم أنَّ الضاحيتين تتشابهان من حيث طبيعة الأرض وطريقة التنظيم بتقسيم الضاحية إلى جزر.

أمَّا بالنسبة إلى علاقة الضواحي مع المدينة فإن أحد الأهداف الأساسية التي أنشئت من أجلها الضواحي هو تخفيف الضغط السكاني عن العاصمة دمشق، ولكن مع قلة توافر فرص العمل في الضواحي وتركزها في دمشق أدى ذلك إلى الحاجة للقيام برحلات يومية بين الضواحي والعاصمة، فكانت النتيجة أن بقيت الكثافة في دمشق مرتفعة في الصباح في أثناء وجود الناس (سكان مدينة دمشق وسكان الضواحي المحيطة بها) في أعمالهم، ولكنها تنخفض نسبياً في المساء بعد عودة سكان الضواحي إلى منازلهم، وبذلك لا تكون الضواحي قد أدت الغاية الرئيسة من إنشائها.

11- الخاتمة ونتائج البحث:

- البيئة الحضرية بوصفها الوسط الذي يبنيه الإنسان ويعيش فيه، لاتمثل وسطاً مادياً فحسب بل هي وسط يضم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والمؤسساتية والعمرانية مما يتطلب تحقيق التوازن بين هذه الجوانب جميعها لتلبية حاجات وطموحات أفراد المجتمع كلهم على المستويات والقطاعات كلها هذه البيئة الحضرية قابلة للتوسع والنمو لأشكال وأنماط مختلفة، وقد وُضِعَتْ بعض النظريات المكانية التي حاولت تفسير هذا التوسع، ولكنها كانت مجرد أفكار نظرية بعيدة عن الواقع.
- أخذت التوسعات العمرانية شكل مدن جديدة أو ضواحٍ سكنية، ولكل نمط من هذه التوسعات خصائصها التي تميّزها وغاية أنشئت من أجلها؛ وكانت إما على شكل امتدادات متصلة على محاور الربط الرئيسة أو على شكل ضواحٍ منفصلة؛ والضاحية هي تجمع حضري يقع على أطراف المدينة ويتمتع بأنّه متجانس مستدام ذو كثافة سكانية منخفضة، ويتميّز بالهدوء والجو الاجتماعي وجودة خدمات التعليم والخدمات العامة وبمساحاته الخضراء الواسعة، ونشوء الضاحية لا يتم بشكل فجائي واعتباطي إنما يمر عبر سلسلة من التطورات والمراحل المتعاقبة التي تتمثل بـــ(التحضر المعاكس، والنمو الحضري، وإعادة عملية التحضر)؛ هذه المراحل مجتمعة يطلق عليها اسم دورة حياة التحضر.
- بدراسة بعض الضواحي السكنية حول دمشق وُجِد أن معظمها يحوي الحد الأدنى من الخدمات؛ وذلك نتيجة البدء باستقبال السكان قبل الانتهاء من تنفيذ كامل الفعاليات الخدمية بحسب المخططات الموضوعة والمعتمدة ومن ثَمَّ -في معظم الأحيان- لم ترقَ إلى تلبية تطلعات قاطنيها ومازالت بحاجة لوضع الخطط والآليات المناسبة للارتقاء بوضعها لتصبح نموذجاً حضرياً للتوسعات العمرانية.

ولأنَّ نشوء ضواحي دمشق كان النتيجة الحتمية لزيادة الكثافات السكانية في المدينة فلا بدَّ من الاهتمام بها والإفادة القصوى منها عن طريق دراسة واقعها الحضري ورصده وتنميتها ومراقبة مؤشراتها لمعرفة مدى تحقيق الغايات التي أنشئت من أجلها، ويكون ذلك عبر وضع استراتيجيات مناسبة تتلاءم مع هذه الضواحي وتطوير آليات ومعايير لتصنيفها، وبحسب التجارب العالمية إنَّ أفضل الطرائق لتصنيف الضواحي يكون عبر دمج عدة معايير بما يتناسب مع حاجاتها والغايات المرجوة، وبدراسة الوضع الراهن لضواحي دمشق يمكن العمل على تصنيفها بحسب موقعها من حيث قربها وبعدها عن مركز المدينة إلى الضواحي القريبة (ضاحيتي دمر وقدسيا) والضواحي البعيدة (ضاحيتي عدرا العمالية وضاحية العاملين في المطار) والضواحي المتوسطة البعد (ضواحي الفردوس، يوسف العظمة، 8 آذار، الأسد) فإذا اِعْتُمِدَ هذا التصنيف يمكن تحديد الخدمات والفعاليات الواجب توافرها في الضاحية وما يمكن الاعتماد عليه من المدينة ففي الضاحية القريبة تُؤَمَّنُ الخدمات الأساسية فيها وتعتمد في باقي الخدمات على المدينة، وفي الضواحي البعيدة يمكن جعلها مستقلة بتأمين الخدمات كلّها وتطويرها لتصبح مركزاً خدمياً للقرى والبلدات المحيطة بها التي من الممكن أن تعتمد عليها، أمَّا في الضواحي المتوسطة البعد يمكن الاستفادة من الطرق الواصلة بين الضاحية والمدينة بوصفها تشكل مساراً يومياً يسلكه عدد كبير من الأفراد، ويكون ذلك بتأمين فعاليات واستثمارات على هذه الطرق الواصلة كإنشاء مراكز استخدامات متعددة، مدارس، ومبانٍ مكتبية ضخمة، أو متاجر كبيرة تلبي حاجة سكان المدينة والضواحي.

- ضرورة إيجاد فرص العمل اللازمة لسكان الضواحي الحالية والمزمع إنشاؤها مستقبلاً بهدف تخفيف الضغط

عن المدينة، ويكون ذلك عبر إقامة مشاريع تنموية (سياحية، وتجارية، وتعليمية، وترفيهية، وصحية..) ضمن الضواحي أو بإقامة مراكز خدمية تؤمن الخدمات اللازمة للضاحية والقرى والبلدات المحيطة بها فضلاً عن فرص العمل التي ستؤمنها لسكان هذه الضاحية مع تأكيد توزيع هذه المراكز الخدمية والمشاريع التنموية وفق رؤية إقليمية شاملة لمدينة دمشق وريفها، وهذا الأمر سيدفع بسكان الضواحي إلى اللاستقرار في أماكن إقامتهم وعدم التنقل يومياً إلى مدينة دمشق.

-

12- مسرد المصطلحات:

المصطلح العربي	المصطلح الانكليزي
نظرية المنطقة المركزية	The Concentric-Zone Theory
حي الأعمال المركزي	CBD
نظرية النويات المتعددة	Multiple Nuclei Theory
ضاحية	suburb
الأنماط الحضرية	urban patterns
التحضر المعاكس	Sub- urbanization
طور النمو الحضري	Counter- urbanisation
تجديد النمو الحضري	Re- urbanisation

-المراجع*

1. Total, urban and rural population 1950-2020(Data from un Department of Economic and Social Affairs/ Population. World Urbanization prospect: the2005 revision).
2. شبو، علي ماجد – نغوي، ديانا: "حالة مدن العالم – المدن المنسجمة -2008-2009" برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل) عمان-الأردن /بدعم من حكومة مملكة البحرين –مملكة البحرين.
3. Developing urban Indicators for " Frank،Friesecke - Theo Kötter, - "Managing Mega Cities Department of Urban Planning and Real Estate Institute of Geodesy and Management University of Bonn.- Geoinformation
4. Steil,Lucien–A.salingaros,Nikos-Mehaffy, Michael"Growing sustainable suburbs- an incremental strategy for reconstructing modern sprawl" From New urbanism and beyond – designing cities for the future-Rizzoli international publications,INC,2008.
5. الحسيني، السيد "التحضر في الأقطار النامية –الملامح والمشكلات" –كلية الآداب جامعة عين شمس 1992.
6. الموقع الالكتروني الرسمي لجامعة شمال كارولينا http://geoearth.uncc.edu ورابط البحث http://geoearth.uncc.edu/people/iheard/1105Notes/Nov%2022.ppt
7. "ندوة الإسكان الثالثة آذار 2007 " الحي السكني ..أكثر من مجرد مساكن . المملكة العربية السعودية –الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض.
8. علي، سيد عباس ،"إستراتيجيات و آليات تنمية المدن الجديدة بمصر" قسم العمارة – كلية الهندسة - جامعة أسيوط – مصر.
9. ميّا، رولا "الأسباب والقوى المحركة لظهور مفهوم التنمية المستدامة" مقرر التنمية المستدامة –جامعة دمشق كلية الهندسة المعمارية.
10. خليل،علي لطفي رضا–"اتجاهات التطور العمراني في ضواحي غرب نابلس والعلاقات المكانية" رسالة ماجستير في التخطيط الحضري والإقليمي بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية /نابلس-فلسطين 2005.
11. Deal, B. and Schunk, D.'Spatial dynamic modelling and urban land use transformation: a simulation approach to assessing the costs of urban sprawl' EcologicalEconomics,2004.
12. Building the 21st Century "Rudlin D. and Falk N. – -"urban neighbourhood Home: The sustainable .Architectural Press, Oxford 1999
13. Bourgeois Utopia: The rise and fall "Fishman R. – - Basic Books,New York, 1987"of suburbia
14. 169. www.curriculum-press.co.uk Geo Factshe .London: Contrasting Suburbs
15. City of Villages: Promoting a sustainable future for Report by URBED with the - "London's suburbs - for the Greater London Authority - TCPA - Published by greater london authority city hill August 2002
16. Mayor of london "The London Plan, Spatial Development Strategy for Greater London", Consultation draft replacement plan, Greater London Authority October 2009
17. The Six Jennifer- C. Nelson, Arthur " LeFurgy, Research " United States Suburban Eras of the .2006Note-university of California
18. Thorns, D.C. – Suburbia London - MacGibbon & .Kee 1972
19. But "URBED, MORI and University of Bristol – attitudes to urban would you live there? Shaping Urban Task Force, DETR, London "living – February 1999
20. ميّا، رولا "التخطيط الحضري في سورية والتوجهات المعاصرة نحو التنمية الحضرية المستدامة " مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية المجلد السادس والعشرون-العدد الأول-2010
21. ملا، محمد زياد، الاستراتيجيات الإسكانية للمدن الكبرى – مثال مدينة دمشق- كلية الهندسة المعمارية جامعة دمشق2007

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2012/7/9